جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية

الملتقى الوطني حول:

التواصل الحضاري بين الجزائر وبلدان الساحل الإفريقي ما بين القرنين16و20م

25-26 أكتوبر 2017

عنوان المداخلة :

المراسلات العلمية بين الجزائر ومنطقة الساحل الافريقي في القرن 17م

فتوى مجلوب السودان نموذجا

الهادي هارون طالب باحث في الدكتوراه جامعة غرداية

hadiharoun@yahoo.fr

مقدمة

شهدت ضفتا الصحراء الافريقية تواصلا مستمرا منذ أقدم العصور ، ولم تكن الظروف الطبيعية يوما ما عائقا في وجه هذا التواصل ، فقد سارت القوافل التجارية وانتقل رجال الدين والعلماء وطلبة العلم بين المنطقتين ، ولما كانت الجزائر جزء من الضفة الشمالية ، لم تكن استثناء عن هذا التواصل ، فقد انتقل علماء الجزائر إلى منطقة الساحل الافريقي وكان لهم تاثير كبير في المنطقة كالمغيلي ، وتنقلت قبائل بكاملها إلى تلك المناطق ككنتة ، كما كان للامتداد الصوفي موضعا في هذه العلاقة كالطريقة القادرية و الطريقة التجانية، وفي كل ذلك كان للقوافل التجارية الدور البارز ، ومن المظاهر الأخرى لهذا التواصل المراسلات بين الجزائر ومنطقة الساحل نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر أسئلة الأسقيا للشيخ المغيلي وغيرها، وفي هذا الباب كانت مداخلتي، وقد جاءت بعنوان: **المراسلات العلمية بين الجزائر ومنطقة الساحل الافريقي في القرن 17م** – فتوى مجلوب السودان نموذجا–

ومن هذه المداخلة أردت أن أسلط الضوء على هذا المظهر من مظاهر التواصل بين المنطقتين ، من خلال الإجابة عن الاشكالات التالية :

ماهو مضمون هذه المراسلة ، ماهي أهميتها التاريخية ؟ وما الاستنتاجات التاريخية المستخلصة من نص الرسالة ؟

1-رسالة سعيد بن إبراهيم الجراري[1] لأحمد بابا التمبكتي:

* التعريف بصاحب الرسالة(المستفتي)

هو أبو عثمان سعيد بن إبراهيم المعروف بقدورة، فقيه ومشارك في بعض العلوم، تونسي الأصل ، الجزائري المنشا والدار[2]،هاجر ابواه إلى مدينة الجزائر وإستقرا فيها[3]، تلقى تعليمه الأول بمدينة الجزائر، يحضر دروس الشيوخ بالجامع الكبير، وكعادت طلاب العلم في حب الانتقال بين الشيوخ للاستزادة، شد سعيد قدورة الرحال إلى زاوية الاخوين آبهلول[4] مابين 1004-1005هـ حيث درس على يد شيخيها محمد وأبا علي علوما شتى؛ كالتفسير والحديث والأصول والمنطق ثم عاد إلى مدينة الجزائر حوالي سنة1009 هـ ، وإعتكف على حضور دروس الشيخ المطماطي بالجامع الكبير حوالي 3سنوات ، ليرحل بعدها إلى تلمسان لحضور دروس الشيخ سعيد المقري[5] والذي كانت سمعته قد بلغت ذروتها، فدرس على يده المنطق والبيان بالجامع الكبير بتلمسان وبعد ذلك سافر إلى صحراء فجيج وتافيلالت وسلجلماسة[6]

---

[1]- **الجراري** وردت في الرسالة ، لم يذكرها أبو الفاسم سعدالله حين ترجم لسعيد قدورة في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الأول ، وربما كلمة الجراري يقصد بها الجزائري خاصة وإن قدورة اشتهر بهذه التسمية ،وقد يكون التحريف من الناسخ

[2]-محمد بن عبدالله الصغير الإفراني : صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق عبدالله الخبالي ،مركز التراث المغربي، ط1، الدار البيضاء،2004، ص220.

[3]-قيل أنه ولد بمدينة فدورة قرب جربة بتونس وترعرع في مدينة الجزائر ، وقيل أنه ولد بالجزائر بعد هجرة والديه إليها أنظر أبو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830) ، دار الغرب الاسلامي ، ط1 ،1998، ص358.

[4]- زاوية بقرب مدينة تنس تنسب للشيخ محمد بن علي المجاجي(945هـ-1002هـ)(1537م-1594م)، وهو عالم من الزهاد العباد ، تشد إليه الرحال في المسائل العلمية وكانت زاويته مقصدا للطلاب راجع أبي الفاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانه الشرقية، الجزائر ، ج2 ، 1906 ، ص432. وكذلك عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر ، ،مؤسسة نويهض للثقافة ، ط2 ، بيروت، 1980، ص286

[5]-أبو عثمان سعيد بن أحمد المقري نسبة لمقرة ببلاد الزاب أشتهر بالعلم والإمامة تولى الخطابة والفتوى بجامع القروبيين يالمغرب ثم الإفتاء بتلمسان مدة ستين سنة توفي 1010هـ ، أنظر الإفراني: المصدر السابق ، ص101. وكذلك الحفناوي : المرجع السابق ،ص155

[6]- **فجيج:** أو فكيك ثلاث قصور يالصحراء إلى الشرق من سجلماسة بحوالي 250ميل تشتهر بالتمور والمنسوجات تحمل سلعها إلى تلمسان وفاس، **سجلماسة و تافيلالت** مدن مغربية انظر مرمول كربخال: إفريقيا ، ترجمة محمد حجي وآخرون، دار نشر المعرفة الرباط ، ج3، 1989، ص-ص 153-162

ولقي في هذه الرحلة بعض علماء المغرب، ليعود إلى الجزائر حوالي سنة1019هـ، ويتولى خلالها الإمامة بجامع البلاط ، وينفرد بتولى منصب مفتي المالكية من 1028هـ إلى 1066هـ فأحسن فيها، وتولى وكيل أوقاف الجامع الكبير وخطيبه، تميز بكونه عالما متقنا و متصوفا زاهدا ورعا معروفا بالصلاح ، توفي سنة1066هـ[1].

كان الشيخ قدورة قد اشتهر بالتدريس لا بالتأليف، ومن تلاميذه عيسى الثعالبي[2]، الهشتوكي[3] و يحي الشاوي المليانى[4]، ومن مؤلفاته –شرح خطبة خليل في المختصر – نوازل تلمسانية – شرح على حاشية اللقاني – حاشية على شرح صغرى السنوسي[5].

***<u>التعريف برسالة طلب الفتوى</u>**

الرسالة تتضمن نازلة، ويتمحور السؤال الجوهري لهذه النازلة حول قضية واحدة وإن كانت متشعبة، وتتمثل في تحديد الإطار الشرعي لمسألة بيع عبيد السودان، وهل بلاد السودان فتحت سلما أم عنوة، وهل الكفر في الأصل هو المعيار الشرعي الوحيد، ثم ما مدى اتفاق فقهاء الإسلام حول هذا المعيار[6]، ومما تجدر الإشارة إليه أن الرسالة تضمنت معلومات تاريخية هامة كالغارات المنظمة من طرف حكام الإمارات السودانية على الشعوب المجاورة من أجل جلب العبيد[7]

---

[1]– أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص 360–361

[2]–**عيسى الثعالبي:** أبو مهدي عيسى بن محمد الثعالبي نسبة لموطن أجداده الثعالبة ، اشتهر برواية الحديث وتميز بالذكاء الحاد توفي 1080 هـ أأنظر الإفراني: المرجع السابق ، ص 283، كذلك أبو الفاسم سعدالله : المرجع السابق ،ج1 ، ص 55 ومابعدها

[3]–**محمد الهشتوكي** : أبو عبدالله محمد ، كان من علماء عصره تولى القضاء بمراكش، تميز يالصلابة وعدم المداهنة توفي 1098هـ انظر الآفراني : المرجع السابق، ص 339

[4]– **يحي الشاوي** : أبو زكربا المليانى طاف مناطق كثيرة ، درس بالازهر وتولى قضاء المالكبة بمصر ، له مؤلفات منها حاشية على الصغرى في التوحيد ، حاشية على شرح المرادي في النحو توفي 1097هـ ، انظر الأفراني نفس المرجع، ص 336، سعدالله المرجع السابق ص 108 ومابعدها

[5]– سعدالله : نفس المرجع ، ج1، ص،369

[6]–زوليخة بنرمضان : المجتمع والدين والسلطة في إفريقيا الغربية مابين 5و11هـ/10و16م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب ،ج 1، 2015 ،ص322

[7]–أحمد بابا التنبكتي: معراج الصعود، تحقيق فاطمة الحراق وجون هانويك، معهد الدراسات الإفريقية ، الرباط، 2000،ص44 وكذلك عبد الخالق احمدون: التواصل الحضاري بين المغرب والبلدان الإفريقية جنوب الصحراء من خلال وثيقة فقهية، مقال ضمن كتاب ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريفية على جانبي الصحراء، مراجعة عبد الحميدعبدالله الهرامة كلية الدعوة الإسلامية طرابلس ،1999،ص527

وعموما يتضح من الرسالة المكانة العلمية للمستفتي من خلال تقديم آراء فقهية متعلقة بمسألة بيع العبيد عند بعض فقهاء المالكية[1].

2-التعريف أحمد بابا التنبكتي

قال المؤرخ عبد الرحمن السعدي[2] في كتابه تاريخ السودان متحدثا عن علماء تنبكت[3]:
< وفيهم الفقيه العالم العلامة فريد دهره ووحيد عصره البارع في كل فن من فنون العلم أبو العباس أحمد بابا ...>[4]

وهو أبو العباس أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحي الصنهاجي الماسني، ولد بقرية أروان سنة 963هـ/1556م من أسرة أقيت المسوفيين، و التي اشتهرت بمكانتها العالية في العلم والفقه والقضاء و الفتوى[5]، وعلى اعتبار الوسط الذي عاش فيه فقد تلقى تعليمه الأول على يد والده و عمه؛ حيث كان كل واحد منهما علما ومثقفا ، إذ أخذ الحديث سماعا عن والده ، كما أخذ عليه الصحيحين وكتاب الشفا ، وأخذ عن عمه النحو[6]، وللإستزاده جلس لعلماء تنبكت ؛ والتي كانت حاضرة علمية في تلك الفترة،حيث نهل من العلوم و المعارف الاسلامية من تفسير وحديث وفقه على يد أبرز علماء تنبكت[7]، ويعد محمد بن محمد

---

[1]- أحمد بابا التنبكتي: معراج ، المرجع السابق، ص 44

[2]-**عبد الرحمن السعدي:** عبد الرحمن بن عبدالله بن عمر بن عمران بن عامر السعيدي التنبكتي ،ولد 1004هـ اشتغل في الإدارة السعدية فترة السيطرة على تنبكت ، صلى بالناس في جامع السنكري ، ألف كتاب تاريخ السودان، الطالب محمد البرتلي: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد حجي وآخر ، دار الغرب الاسلامي،1981،ص 176

[3]-**تنبكت** : تاسست على التوارق في أواخر القرن5هـ/11م مادنستها عبدة الأوثان وما سجد على أديمها قط لغير للرحمن، عاشت إزدهار كبير في القرنين15و16م. راجع عبدالرحمن السعدي : تاريخ السودان، تح، هوداس، مكتبة أمريكا والشرق آدريان، باريس، 1981 ،ص20-24

[4]-عبدالرحمن السعدي: نفسه ،ص35 وانظر أحمد بابا التنبكتي : كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق محمد مطيع، وزارة الأوفاف والشؤون الدينية،ج2 ،2000،ص285

[5]- سوزي أباظه : دراسة حول مخطوطي –أسئلة في مشكلات – و- أسئلة إلى علماء مصر – مقال ضمن كتاب ندوة البردي و المخطوطات العربية في إفريقيا، تحرير السيد فليفل، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، مصر ،2005،ص 72

[6]-عبد القادر زبادية: دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2010،ص126

[7]- عبد الخالق أحمدون: المرجع السابق،ص511

ابن أبي بكر الونكري المشهور ببغيغ[1] أبرز شيوخه، وأكثرهم فضلا ، ولم ينتفع بأحد مثل انتفاعه به وبكتبه، حيث لازمه لأكثر من عشر سنوات قرأ فيها عليه نحو خمسة وعشرين كتابا[2]، وقد عرف عن أحمد بابا أثناء دراسته عن بقية الطلاب بالذكاء الحاد و المداومة والاجتهاد في طلب العلم، دون كلل أو ملل، وقد ظل يتلقى العلم ويلازم حلقات الدرس في شتى العلوم حتى يلغ سن الثلاثين من العمر ليجلس للتدريس والتأليف[3].

عاصر أحمد محنة غزو السعديين مملكة السنغاي1591م ، و التخريب الذي طالها، وأُخِذ الشيخ كأسير إلى مراكش رفقة أهل بيته مصفدين؛ حيث نهبت ذخائرهم وأموالهم، وانكسرت رجله عندما سقط على راحلته، ولما وصل إلى مراكش زُج به في السجن حتى1595م[4]، وكان الشيخ قد استنكر على أحمد المنصور حين التقى به غزو بلاده التي تدين بالإسلام وشعبها مسلم، كما نهاها عن محادثة الناس من وراء حجاب وهي ليس من صفات المسلم[5]

وبعد الإفراج عنه جلس للتدريس في جامع الشرفاء بمراكش، وكانت سمعته العلمية قد سبقته فهرع إليه الطلاب والعلماء، حيث انتفع به الناس وزادت سمعته[6]، ويقول في ذلك القادري في كتابه نثر " المثاني":< ونفع الله به هذا القطر المغربي وحمل منه علم غزير، واستفيد ماعنده من التحقيق والتحرير، وقد اشتهر فيه اشتهار أهله، وتحققت فيه مكانة قدره و فضله، مع ما أكرمه الله به من مضاعفة الأجور، وعلو الدرجات بمشاق الأمور، وبسبب ما لحقه من الامتحان الذي هو لأمثاله عنوان غاية الكرامة والرضوان....>[7]، وقد كان للشيخ مجلسان، يعقد الأول في جامع

---

[1]–**محمد بغيغ** :محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التبكتي ولد عام 993هـ/1585م استقر بتنبكت ، غزير العلم له فتاوى عدة توفي 1002هـ/1593م. أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق حماة الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، لبنان،2013،ص563.

[2]– التنبكتي : كفية المحتاج ، المصدر السابق، ص282

[3]–عبد القادر زبادية: المرجع السابق: ص126

[4]– سوزي أباظه: المرجع السابق، ص73

[5]–عبد القادر زبادية: المرجع السابق: ص128

[6] – الطالب محمد البرتلي: المرجع السابق،ص35 ، و كذلك عبد الخالق أحمدون: المرجع السابق،ص512

[7]–محمد بن الطيب القادري: نثر المثاني لأهل الفرن الحادي عشر والثاني، تحقيق أحمد التوفيق واخر، دار المغرب للنشر،الرباط، 1977، ج1، ص275.

الشرفاء حيث يلقى دروسه على عدد كبير من الحضور، أما الثاني فيعقد في بيته إذ يحضره تلاميذه المغاربة[1]،

تميز أحمد بابا بغزارة التأليف، وقد تحدث عن ذلك في كتابة كفاية مفيدة كحاشية على مختصر خليل من الزكاة إلى أثناء النكاح ، والوشاح بفوائد النكاح وهو مختصر الوشاح للسيوطي ، فتح الرزاق في مسألة الشك في الطلاق، تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء ، نيل الابتهاح بتطريز الديباج [2]، وهو ترجمة لعلماء المذهب المالكي ويعد تكملة لكتاب ابن فرحون" الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب"، ومن ضمن المؤلفات مجموعة من الرسائل "كاللمع في شرب التبغ" و"معراج الصعود في حكم نيل مجلوب السود" أو "الكشف والبيان لاصناف مجلوب السودان"[3]

وبعد وفاة المنصور الذهبي أذن له ولده زيدان بالرجوع إلى بلاده مرة أخرى 1016هـ/1606م واستمر في ممارسة النشاط العلمي و التعليمي، وإلقاء الدروس في تنبكت ، وجلس للإقراء والتأليف حتى وفاته 1036هـ/1627م[4]

* التعريف برسالة معراج الصعود

تصنف هذه الرسالة ضمن مصادر النوازل أو المسائل أو الأجوية، وهي مصادر تعكس في جانب الواقع الحياتي الحي، الذي تتدخل فيه عوامل مختلفة دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية ، وتكشف في جانب آخر عن الحكم الشرعي للقضايا أو النوازل التي تتصل بحياة الناس في أوضاعهم المختلفة، ومن هذين الجانبين اكتسبت أهميتها العلمية والاجتماعية بما تضمنته من الإجابة عن ظاهرة ابتليت بها الأقطار الإفريقية، وهي وضع الرقيق الذي يجلبه التجار من بلدان جنوب الصحراء وبيعه في الاسواق، ووجه تملكه من الناحية الشرعية، وهي مسألة عظم خطرها وعم الابتلاء بها في كل بلد حتى وصفه أحمد بابا أنها مصيبة عمت بها البلوى في هذا الزمان في البلدان[5].

---

[1] – سوزي أباظه: المرجع السابق، ص74

[2]– الطالب محمد البرتلي: المرجع السابق،ص36

[3]– عبد القادر زبادية: المرجع السابق: ص127

[4]– سوزي أباظه: المرجع السابق، ص75

[5]– عبد الخالق أحمدون: المرجع السابق،ص،ص،507، 508

كما سلف قد جاء نص الرسالة (الفتوى) جوابا عن سؤال موجه من توات إلى الفقيه أحمد بابا سنة 1021هـ، وقد تأخر الجواب عنه إلى سنة 1024هـ وفق تاريخ الفراغ من الرسالة ، ولأسباب سكت عنها المجيب[1]، ولقد استند صاحب المعراج على جملة من الكتابات التاريخية كالعبر لابن خلدون والمسالك والممالك للبكري ونزهة المشتاف للإدريسي ، للتأكيد على أن إسلام السودان الغربي تم إسلامهم سلما وطوعا لا قهرا، عكس ما يدعي البعض، كما أن وضعيتهم تختلف عن وضعية الأحباش، التي حاول البعض الإسقاط عليها لاستعباد أهالي السودان، كما أبدى موقفه من تملك بعض الفئات كأهل كانو وبرنو وكانو سنغاي وكشن وملي (مالي) وكبر وبعض زكزك[2] حيث منع تملكهم لثبوت إسلامهم[3]، وفق قول سحنون[4]؛ الذي يقر أن الاعتراف بالتوحيد للعبد يستلزم الاعتراف له بالحرية، ثم يخلص الشيخ أحمد بابا إلى أنه متفق مع جل فقهاء الإسلام في اعتبار الرق مقترنا بالكفر، وأن كفار السودان يسري عليهم في حكم الرق مايسري على الكفار من نصارى أو يهود أو فرس أو بربر أو غيرهم من ثبت بقاؤه على كفره دون إسلام[5]، وبالتالي فإن الفقيه بابا قد أقر بالكفر كمعيار للاستعباد، وحدد الأصناف أو القبائل التي يجوز تملكها والتي ترد من بلاد السودان فقال:<..ونزيدكم ضابطا آخر وهو أن كل ما يقدم عليكم الآن من الصنف الذي هو موشي وصنف كرم وصنف بس وصنف يرك وصنف كتكل وصنف يرب وصنف تنبع وصنف بوبوا وصنف كرم فكلهم كفار.. > [6].

غير أن المعيار السابق كان في الحالة السودانية غير منسجم مع الواقع البشري، حيث تساير الإسلام و الوثنية في كثير من الأحيان داخل المجموعة القبلية الواحدة، وهو ما استدركه

---

[1]–أحمد بابا التنبكتي : معراج الصعود، المصدر السابق ،ص، 51 ، وكذلك مطير سعد غيث: إزدهار علم التاريخ في السودان الغربي خلال القرن11هـ/17م، مقال بمجلة جامعة الزيتونة ، منشورات جامعة الزيتونة، ليبيا ، العدد 1، 2012، ص145.

[2]–مجموعة من الإمارات والإقاليم بالسودان الغربي للمعلومات أكثر راجع مرمول كربخال: المصدر السابق،ض–ض200–210

[3]– زوليخة بنرمضان : المرجع السابق ، ص322

[4]–**سحنون:** ابوسعيد بن حسان التنوخي الحمصي الأصل القيروني المالكي تولى قضاء القيرون له المدونة توفي 240هـ وعمره 80 سنة ، انظر شمس الدين الذهبي : سير أعلام النبلاء، تح، شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت ،ط11، 1996، ج12،ص–ص، 63–69.

[5]– أحمد بابا التنبكتي : معراج الصعود، المصدر السابق ،ص، 53، عبد الخالق أحمدون: المرجع السابق،ص532

[6]– أحمد بابا التنكتي: معراج الصعود، المصدر السابق ،ص69، 70

الفقيه حين استدل بأقوال بعض الفقهاء في عدم ثبات هذا المعيار كالفقيه أبي الأصبغ بن سهل[1] الذي اعتبر إقرار العبد والسيد بأنه من بلد كثر فيها تملك الأحرار يكفي للحكم بحرية العبد، أما سحنون وابن لبانة[2] وابن زرب قالوا بضرورة طلب البينة على مدعي الحرية ، أو إقرار المشتري بصحة انتساب العبد إلى بلاد اشتهرت بالكفر[3].

ويتضح من رسالة بابا حذر فقهاء السودان وتحفظهم في إصدار أحكام تقطع بالعبودية، إذ استند إلى رأي الفقية محمود بن عمر بن محمد أقيت حيث أفتى وقتها بحرية العبد مالم يثبت البائع كفر المملوك، وهو ما افتى به مخلوف البلبالي[4] وكذا قضاة فاس والأندلس[5]

وبعد المناقشة تتضح من الرسالة الضوابط الشرعية تحكم الاسترقاق لدى فقهاء المالكية وهي: –لايجوز تملك المسلم أو الرقيق المجلوب من بلاد عرف عنها الإسلام – لايسترق الذمي أو المعاهد – المجوس ومن لا كتاب لهم في مرتبة أهل الكتاب عند فتح أرض للإسلام بالجهاد المشروع مخيرين بين اعتناق الإسلام أو دفع الجزية – سبب الرق ولا فرق في ذلك بين الأجناس والشعوب – يسترق الكفار من العرب إلا قريش – طروء الإسلام بعد حصول الرق لايمنع التملك – إذا جهلت هوية الرقيق فمن الورع عدم تملكه ترك سبيله دون تكليف بإثبات حريته – الأخذ بادعاء الرقيق الحرية و على المشتري إثبات العكس –الأصل في الإنسان الحرية والرق

---

[1]– **أبو الأصبغ بن سهل:** عيسى بن سهل ين عبد الله الأسدي الجياني المالكي، تفقه في الدين وصنف كتابا في الأحكام، ولي قضاء غرناطة، توفي 489هـ وعاش 73سنة ، شمس الدين الذهبي : المصدر السابق ج20،ص26.

[2]–**ابن لبابة** : أبو عبدالله بن يحي بن عمر بن لبابة القرطبي كان حافظ لأخبار الأندلس وله حظ من الشعر والنحو انتهت امامة المذهب وولي الصلاة بقرطبة توفي في 314هـ وله 90 سنة ، شمس الدين الذهبي : المصدر السابق ،ج14،ص495.

[3]– زوليخة بنرمضان : المرجع السابق ، ص ،323، التنبكتي : معراج ،المصدر السابق،ص57، 58

[4]– **مخلوف البلبالي:** الحافظ مخلوف بن علي بن صالح البلبالي وقيل أخذ العلم على كبر ببلدته ولاتن ونُصِح بترك التجارة والتفرغ للعلم لنجبه، فسافر للمغرب وحصل العلم واشتهر بحفظه الغزير، أقرا ببلاد السودان ودرس بتنبكت، ومراكش توفي 940هـ/1533م.أحمد بابا التنبكتي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق حماة الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، لبنان، 2013 ص571.

[5]– التنبكتي : معراج المصدر السابق،ص، 58 وكذلك زوليخة بنرمضان : المرجع السابق ، ص،324

حالة طارئة وامتحان له ، لذلك أوصى الإسلام بالمعاملة الإنسانية وجعل الاجتهاد في تحريرهم من باب العبادة[1]

وكما أشرت سابقا أن قيمة الوثيقة لا تتأتى من القضية المناقشة فقط ، ولكن كذلك من المادة التاريخية والجغرافية التي تحتويها و المتعلقة بالمنطقة، كالشعوب المسلمة بمنطقة جنوب الصحراء وماجاورهم من شعوب كافرة، كما بينت حقيقة تاريخية أكدت عليها التواريخ السودانية وهي الغارات المنظمة لحكام السودان لجلب العبيد[2].

3 أبعاد التواصل الحضاري من خلال الرسالة :

بعد عرض الرسالتين ومناقشتهما، نستخلص من خلالهما جملة من الأبعاد الحضارية للتواصل بين المنطقتين تتمثل في :

*البعد الديني:

ويتضح من خلال ما بينه أحمد بابا أن إسلام أهل السودان قديم ولايجوز تملكهم، و ذكر من ذلك مالي والسنغاي برنو وغيرها ومعلوم أن الجزائر من المناطق التى انتشر منها الإسلام لمنطقة إفريقيا جنوب الصحراء عبر القوافل التجارية وحركة العلماء.

*البعد المذهبي:

انتشر الفقه المالكي في بلدان أفريقيا جنوب الصحراء عن طريق علماء بلاد المغرب، وتركوا الأثر الكبير في الثقافة الدينية للمنطقة، لتعتمد المناهج الدراسية على كتب فقهية مالكية بحتة، ككتاب الشفا لعياض، و مدونة مالك و مختصر خليل، وكتب سحنون والمغيلي والونشريسي ، وموطأ مالك وغيرها، حتى نبغ فيه علماء من المنطقة أكثر تحمسا وتشبثا به، وما غزارة إنتاج الفقيه أحمد بابا لا دليل على ذلك كتراجمه لعلماء المالكية وعنايته بمختصر خليل وتتبع شروحاته

[1]– التنبكتي : معراج، المصدر السابق،ص، 22

[2]– مطير سعد غيث: المرجع السابق، ص157.وكذلك عبد الخالق أحمدون: المرجع السابق،ص535

والتعليق عليها خير مثال لهذا البعد[1]، ويتجلى هذا البعد كذلك في الرسالة من خلال الفتاوى التي أوردها أحمد بابا لعلماء المالكية السالفي الذكر لبناء رأيه في مجلوب السود[2].

*البعد الثقافي :

يرتبط هذا البعد بما قبله؛ إذ كان للفقه المالكي دور فعال في تشكيل الثقافة الإسلامية ، وصبغتها بالصبغة المذهبية ، وذلك من خلال الصلات العلمية التي كانت قائمة بين علماء بلاد المغرب بصفة عامة وعلماء السودان بلاد الساحل ، عن طريق تبادل الأفكار و الاستفسار حول ماظهر من وقائع و نوازل منها هذه النازلة محل المداخلة، وقد كان الاحترام والتقدير سيد المراسلات ، من ذلك ما ورد في رسالة الشيخ قدورة من تعظيم وتوقير لمكانة الفقيه بابا بقوله : < إلى الفقهاء الأجلة الأعيان و مصابيح إقليم السودان ممن له في المسألة التبصرة والبيان..>[3] وهي دلالة على المكانة العلمية التي يتربع عليها علماء السودان الغربي عند الجزائريين وخاصة أحمد بابا وهو ماذكره في كفاية المحتاج حين ترجم لنفسه فقال: ذاعت شهرتي من السوس الأقصى إلى بجاية والجزائر، وهو مالمسه من طلبة قدموا إليه في مراكش لحضور دروسه، حين قالوا له لا نسمع في الجزائر إلا بإسمك[4]

الخاتمة:

مما سبق يمكن القول أن التواصل بين الجزائر وبلاد الساحل كان موجودا في إطاره العام المغاربي لاعتبارات كثيرة كالجوار الجغرافي، والوحدة الدينية والمذهبية وحتى الصوفية ليتجلى ذلك في مظاهر عدة منها القوافل التجارية والهجرات العلمية، وركاب الحجيج و الهجرات السكاني و المراسلات العلمية ، وماهذه المراسلات بين الشيخ سعيد قدورة و احمد بابا التنبكتي إلا نموذجا

[1]– عبد الخالق أحمدون: المرجع السابق، ص523

[2]– التنبكتي : معراج الصعود،ص57، 58

[3]– التنبكتي : نغسه ، ص 43

[4]– التنبكتي : كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج 2، ص285 ، البرتلي : المصدر السابق ، ص35

عن التواصل الثقافي و الحوار بين علماء الجزائر وطلاب علمها وعلماء بلاد الساحل، على غرار مراسلات الاسكيا وأمير كانو للشيخ المغيلي و غيرها.

كما تبرز الرسائل الشواغل العلمية التي كانت سائدة في تلك الفترة ، وطريقة مناقشتها بين العلماء بالأدلة و الأسانيد الموثقة من كتب الفقهاء المالكية .

كشف بعض الظواهر المصاحبة لها كغش بعض التجار في الفصح عن مصادر السلع (العبد وهويته) .

من خلال دراسة الرسالتين تبرز قيمتهما كمصدر تاريخي هام للمنطقة و للشخصيتين وثقافتهما الواسعة ، فالشيخ أحمد بابا لم يكتف بدوره كفقيه ومفتي بل تعداه إلى التاريخ ليرسم خريطة تاريخية وجغرافية لبلاد السودان.

المـــــلاحق:

ملحق 01 نسخة من رسالة سعيد الجراري الصفحة 01

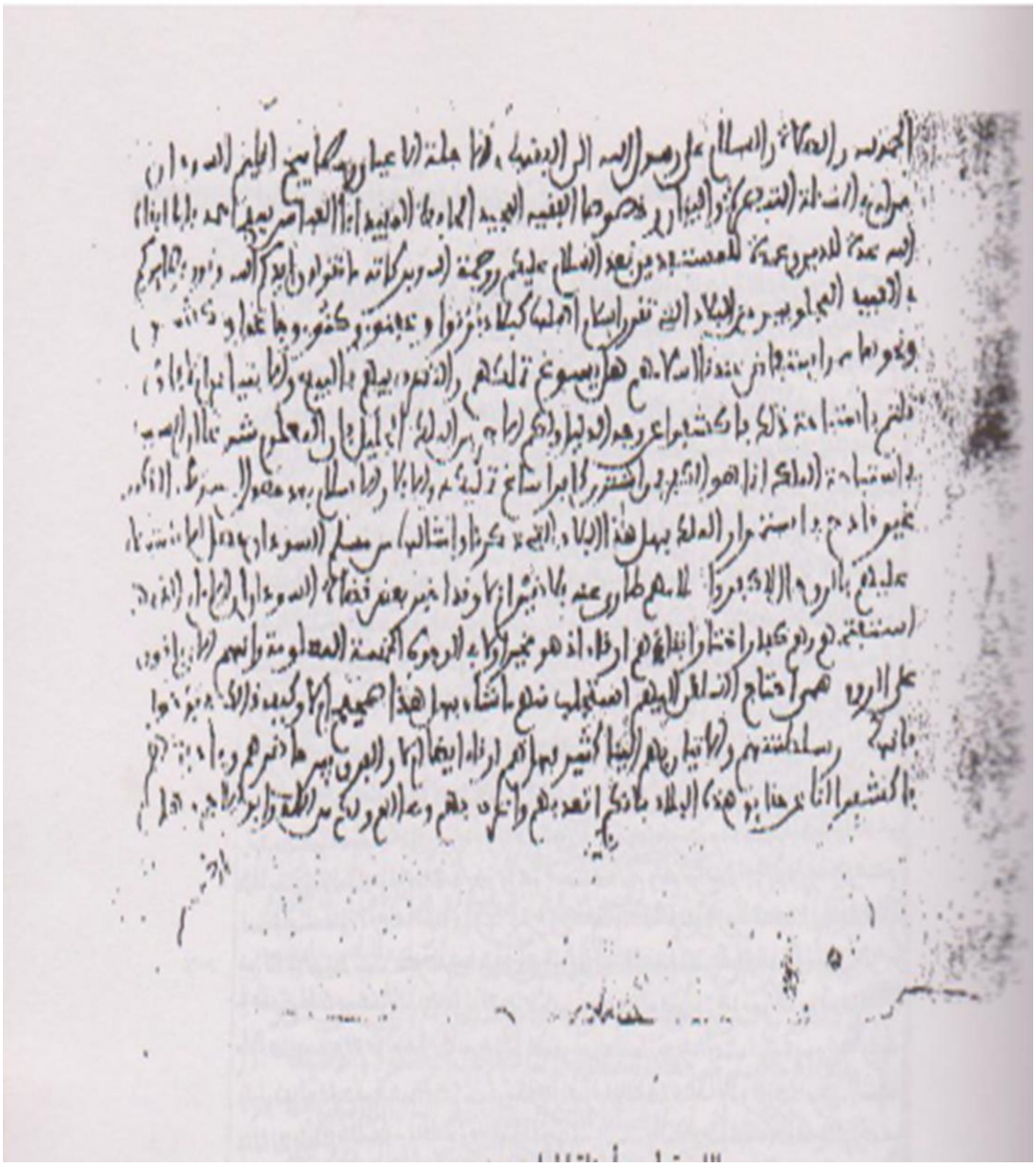

المرجع : التمبكتي: معراج الصعود، ص71

ملحق02 : معراج الصعود الصفحة الأولى

المرجع : التمبكتي: معراج الصعود، ص73

ملحق02 : معراج الصعود الصفحة الأخيرة

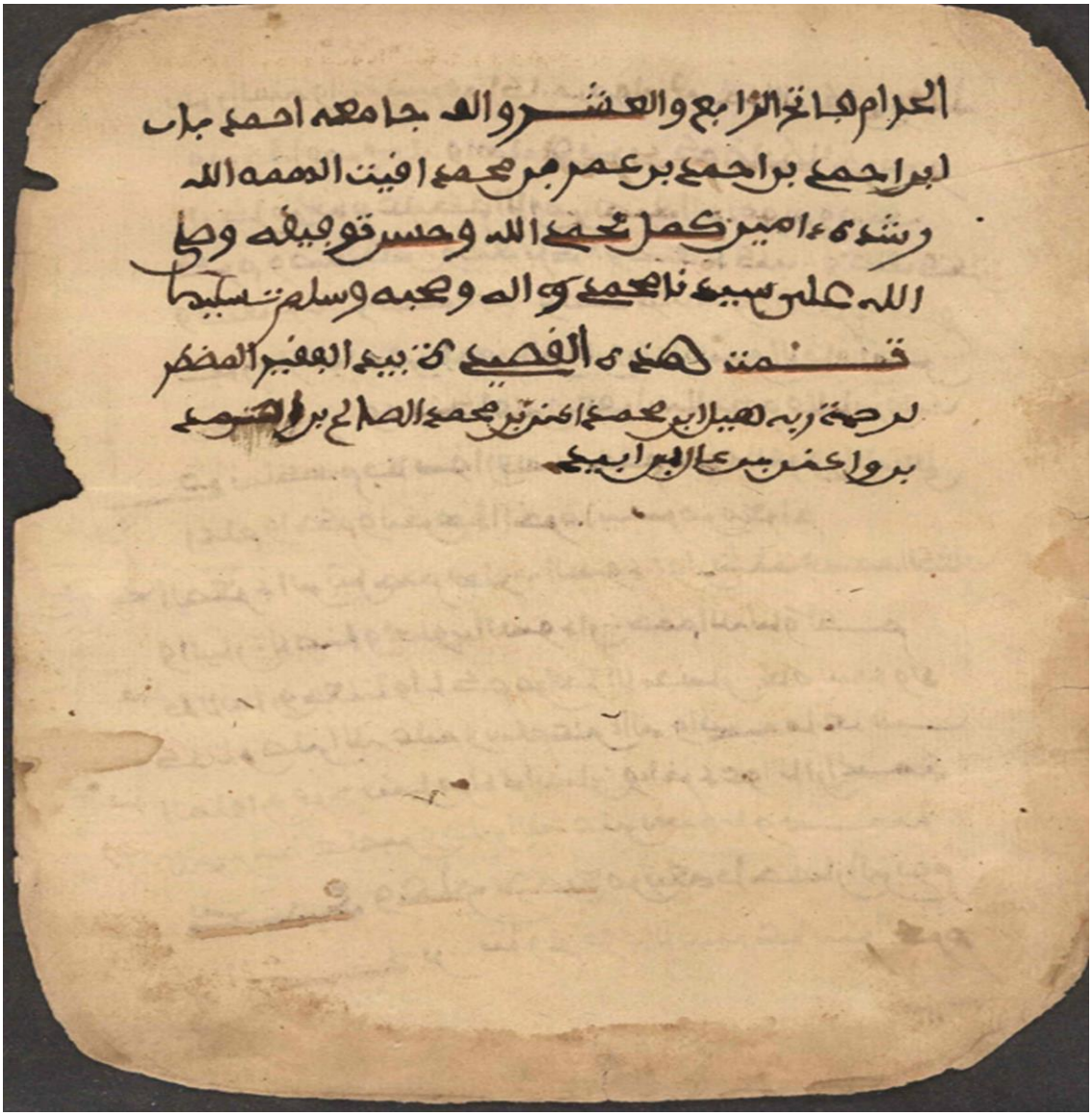

المرجع : التمبكتي: معراج الصعود، ص75

قائمة المصادر والمراجع :

- المصادر

1- أحمد بابا التنبكتي : كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق محمد مطيع، وزارة الأوفاف والشؤون الدينية،ج2 ،2000

2- أحمد بابا التنبكتي : معراج الصعود، تحقيق فاطمة الحراق وجون هانويك، معهد الدراسات الإفريقية ، الرباط، 2000

3- أحمد بابا التنبكتي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق حماة الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، لبنان،2013

4- شمس الدين الذهبي : سير أعلام النبلاء، تح، شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت ط11، ج 12 ،14 ،20 ،1996

5- عبدالرحمن السعدي : تاريخ السودان، تح، هوداس، مكتبة أمريكا والشرق آدريان، باريس، 1981

6- محمد الطالب البرتلي: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد حجي وأخر ، دار الغرب الاسلامي،1981

7- محمد بن الطيب القادري: نثر المثاني لأهل الفرن الحادي عشر والثاني، تحقيق أحمد التوفيق وأخر، دار المغرب للنشر،الرباط، ج 1 ،1977

8- محمد بن عبدالله الصغير الإفراني : صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق عبدالله الخبالي ،مركز التراث المغربي، ط1، الدار البيضاء،2004

9- مرمول كربخال: إفريقيا ، ترجمة محمد حجي وأخرون، دار نشر المعرفة الرباط ، ج3، 1989

المراجع:

الكتب:

1-أبي الفاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانه الشرقية، الجزائر 1906 ، ج2

2-أبو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830) ، دار الغرب الاسلامي ، ط1 ج1 ج1998،2

3- زوليخة بنرمضان : المجتمع والدين والسلطة في إفريقيا الغربية مابين 5و11هـ/10 و16م ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب ،ج 1، 2015

4-عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر ، مؤسسة نويهض للثقافة ، بيروت، ط2 ،1980

5- عبد القادر زبادية: دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر2010

الندوات

1- سوزي أباظه : دراسة حول مخطوطي –أسئلة في مشكلات – و- أسئلة إلى علماء مصر مقال ضمن كتاب ندوة البردي و المخطوطات العربية في إفريقيا، تحرير السيد فليفل، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، مصر ،2005

2- عبد الخالق أحمدون: التواصل الحضاري بين المغرب والبلدان الإفريقية جنوب الصحراء من خلال وثيقة فقهية، مقال ضمن كتاب ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، مراجعة عبد الحميدعبدالله الهرامة ،كلية الدعوة الإسلامية طرابلس ،1999

المجلات

مجلة جامعة الزيتونة

1-مطير سعد غيث: إزدهار علم التاريخ في السودان الغربي خلال القرن11هـ/17م، مقال ، بمجلة جامعة الزيتونة ، منشورات جامعة الزيتونة، ليبيا ، العدد الأول ،2012